التحليل اللغوي للنص القرآني سورة فاطر مثالا

Linguistic analysis of the Quranic text Surat Fatir as an example

م. م. علي كاظم بجاي السعيدي

M. M. Ali Kadhim Bachay Al-Saeedi

مديرية تربية كربلاء المقدسة

Karbala Holy Education Directorate

الكلمات المفتاحية: فاطر، اللغوي، التحليل.

Key Words: Fatir، linguist، analysis.

الملخص:

يسعى البحث إلى تحليل النص القرآني المتمثل في سورة فاطر تحت عنوان (التحليل اللغوي للنص القرآني سورة فاطر مثالاً)؛ إذ تضمن الكلام عن محتوى السورة المباركة، والغرض الذي نزلت من أجله سورة فاطر، ومن ثم تطرق البحث لفضيلة السورة المباركة من حيث فضل قراءتها واحكامها القرآنية، ذاكراً جلَّ القراءات وآراء القرّاء فيها، مما جعل البحث ثري بذكر أعلام القرّاء وآرائهم، ومن ثم سار الباحث في بيان غريب الالفاظ التي وردت في سورة فاطر والوقوف عند أبرز الالفاظ وتوضيحها، مستعرضاً لأبرز النواحي البلاغية والوقوف عندها وبيانها في سورة فاطر المباركة.

Abstract:

The research seeks to analyze the Quranic text represented in Surat Fatir under the title (Linguistic analysis of the Quranic text Surat Fatir as an example); As it included talking about the content of the blessed surah، and the purpose for which Surat Fatir was revealed، and then the research touched on the virtue of the blessed surah in terms of the virtue of reading it and its Quranic rulings، mentioning most of the readings and the opinions of the readers in it، which made the research- rich in mentioning the readers' flags and their opinions، and then the researcher proceeded In an explanation of strange terms that were mentioned in Surat Fatir and standing at the most prominent words and their clarification، reviewing the most prominent rhetorical aspects and standing on them and their statement in Surat Fatir the blessed.

المبحث الاول

ويتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول: محتوى السورة:

سمّيت هذه السورة بـ (فاطر) أو (الملائكة) لابتداء آياتها بآية ذكر فيها (فاطر) و(الملائكة)،[1] وعدد آياتها خمس وأربعون آية، وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى اختصم إليَّ أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأتها[2].

ولما ذكر تعالى في آخر السورة التي قبلها هلاك المشركين أعداء المؤمنين، وأنزلهم منازل العذاب، تعيّن على المؤمنين حمده تعالى وشكره لنعمائه ووصفه بعظيم آلائه[3]، كما في قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 45].

المطلب الثاني: غرض السورة:

هو بيان الأصول الثلاثة: وحدانيته تعالى في ربوبيته ورسالة الرسول والمعاد إليه وتقرير الحجة لذلك، وقد توسل لذلك بعد جمل من نعمه العظيمة السماوية والأرضيّة والإشارة إلى تدبيره المتقن لأمر العالم عامة والإنسان خاصة[4].

ويمكن تلخيص آيات هذه السورة في خمسة أقسام:[5]

1 . قسم مهم من آيات هذه السورة يتحدّث حول آثار عظمة الله في عالم الوجود، وأدلّة التوحيد.

2 . قسم آخر من آياتها يبحث في ربوبية الله وتدبيره لجميع أُمور العالم، بالأخصّ أُمور الإنسان، وعن خالقيته ورازقيته، وخلق الإنسان من التراب ومراحل تكامل الإنسان.

3 . قسم آخر يتحدّث حول المعاد ونتائج الأعمال في الآخرة، ورحمة الله الواسعة في الدنيا، وسنّته الثابتة في المستكبرين.

4 . قسم من الآيات يشير إلى مسألة قيادة الأنبياء وجهادهم الشديد والمتواصل ضدّ الأعداء المعاندين. ومواساة الرّسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الخصوص.

5 . القسم الأخير منها يتعرّض للمواعظ والنصائح الإلهية فيما يخصّ المواضيع المذكورة أعلاه، ويعدّ مكمّلا لها.

بعض المفسّرين لخّص جميع هذه السورة في موضوع واحد وهو: هيمنة وقاهرية الله في جميع الأُمور[6].

المطلب الثالث: فضيلة هذه السورة:

ورد في الحديث الشريف عن الرّسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من قرأ سورة الملائكة، دعته يوم القيامة ثلاثة أبواب من الجنّة أن ادخل من أي الأبواب شئت))[7].

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّ ((الحمدين: حمد سبأ، وحمد فاطر، من قرأهما في ليلة لم يزل في ليلته في حفظ الله وكلاءته، فمن قرأهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه، وأُعطي من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغ مناه))[8].

و السورة مكية كما يدل سياق آياتها عليها، و قد استثنى بعضهم آيتين، و هما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: 29] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ

هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32]؛ إذ إنّه غير ظاهر من سياق الآيتين[9]، ومن المفسرين مَن لم يجد دليلاً على صحّة هذا الاستثناء[10].

ولكونها مكيّة النّزول، فانّ محتواها العام يعكس الملامح العامّة للسور المكية، كالحديث في المبدأ والمعاد والتوحيد، ودعوة الأنبياء، وذكر نعم الله عزّ وجلّ ومصير المجرمين يوم الجزاء[11].

المبحث الثاني

يتكون من المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: القراءات القرآنية في سورة فاطر ويمكن بيانها على النحو الآتي:

قوله تعالى: ﴿ الحمد لله فاطر السماوات والأرض ﴾ يجوز في فاطر ثلاثة أوجه: الخفض على النعت والرفع على إضمار مبتدأ والنصب على المدح وحكى سيبويه: الحمد لله أهل الحمد مثله[12]، وقرئ: الذي فطر السموات والأرض وجعل الملائكة، **وقرئ:** (جاعل الملائكة)، بالرفع على المدح (رُسُلاً) بضم السين وسكونها[13].

وقرأ حمزة و الكسائي: ﴿هل من خالق غير الله ﴾ بالخفض و الباقون بالرفع [14]، **وقرئ:** ﴿غير الله﴾ بالحركات الثلاث؛ فالجرّ والرفع على الوصف لفظاً ومحلاً، والنصب على الاستثناء[15].

وقرأ الحسن والأعرج ويعقوب وابن عامر وأبو حيوة وابن محيص وحميد و الأعمش وحمزة ويحيى و الكسائي وخلف:﴿والى الله ترجع الامور﴾ بفتح التاء على أنه مسمى الفاعل واختاره أبو عبيد لقوله تعالى: (ألا إلى الله تصير الأمور) الباقون ترجع على الفعل المجهول[16].

وقرأ أبو جعفر: ﴿فلا تذهب﴾ بضم التاء (نفسك) بالنصب، و الباقون (فلا تَذهبُ نفسُكَ) والوجه فيهما ظاهر[17]، وقرأ حمزة والكسائي (أرسل الريح)[18]

وقرئ: ﴿ولا ينقص﴾ على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف[19]

وقرأ روح و زيد عن يعقوب (و لا ينقص) بفتح الياء وهي قراءة الحسن وابن سيرين والباقون (ولا ينقص) على البناء للمفعول به، وقرأ قتيبة عن الكسائي (والذين يدعون) بالياء، والباقون بالتاء، وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي: (سيغ شرابه) [20].

وقرأ أبو عمرو:﴿ يُدخلونها﴾ بضم الياء على ما لم يسم فاعله ؛ ليشاكل قوله: (يُحلَّون)، والباقون بفتح الياء؛ لأنّهم إذا أدخلوا فقد دخلوا[21].

وقرأ أبو عمر و خلف وحده: ﴿يجزي كل كفور ﴾على ما لم يسم فاعله، و الباقون (نجزي) بالنون كل بالنصب، و قرأ ابن كثير، وأبو عمرو وحمزة وحفص وخلف ﴿ على بينة ﴾ بالتوحيد و الباقون (بينات) بالجمع[22].

وقرئ: ﴿فيموتون﴾ عطفًا على يقضي وإدخالًا له في حكم النفي، أي: لا يقضي عليهم الموت فلا يموتون[23]، كقوله تعالى: ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾

وقرئ: ﴿يجازى﴾ (ونجزي كل كفور) بالنون (يسترخون) يتصارخون: يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة، قال:

كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها

واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته[24].

وقرأ حمزة وحده ﴿و مكر السيئ ﴾ بسكون الهمزة و الباقون بالجر[25]، والسكون في الوصل لتوالي الحركات تخفيفا، كما سكن ابو عمرو الهمزة في بارئكم كذلك واذا وقف ابدلها ياء ساكنة والباقون بخفضها في الوصل ويجوز رومها واسكانها في الوقف[26].

المطلب الثاني: بيان غريب الالفاظ في سورة فاطر ويمكن بيانها على النحو الآتي:

(فطر): أصل الفطر الشق طولا، يقال فطر فلان كذا فطراً، وأفطر هو فطوراً وانفطر انفطاراً[27]، والفطر الشق عن الشيء بإظهاره للحس وفاطر السموات خالقها[28]، فاطر السموات، خالقها على غير مثال[29]

(تؤفكون): بمعنى تصرفون من الأفك بالفتح، وهو الصرف، يقال: ما أفكك عن كذا، أي ما صرفك عنه[30]

(بَلَدٍ): البلد يذكر ويؤنث، والبلدة البلد وتطلق البلد، والبلدة على كل موضع من الأرض عامرًا كان أو خلاء، وفي التنزيل: (الى بلد ميت)، أي: إلى أرض ليس فيها نبات ولا مرعى، فيخرج ذلك بالمطر فترعاه أنعامهم فأطلق الموت على عدم النبات والمرعى، وأطلق الحياة على وجودهما[31]

(الْكَلِمُ): اسم جنس؛ لأنه يدل على الماهية من حيث هي هي، وليس بجمع خلافا لصاحب القاموس، ولغيره من النحاة؛ لأنّه يجوز تذكير ضميره، والجمع يغلب عليه التأنيث ولا اسم جمع لأنّ له واحدًا من لفظه، والغالب على اسم الجمع خلاف ذلك وواحدة كلمة[32].

(يَبُورُ): بمعنى يهلك ويفسد، يقال: بار يبور بورًا وبوارًا، أي: هلك وبارت السوق أو السلعة كسدت وبار العمل،أي: بطل وبارت الأرض، لم تزرع وبوّر الأرض تركها، أو صيّرها بائرة وأباره، أهلكه وتبوّر نفسه رثاها

وناح من البوار، والبائر يعنى ما بار من الأرض والجمع بور، يقال: حائر بائر، أي: لا يطيع مرشدًا، ولا يتجه لشيء[33].

(النطفة): الماء القليل و الماء الكثير، وهو من الأضداد و منه قول أمير المؤمنين (عليه السلام) لما قيل له أن الخوارج عبروا جسر النهروان:(مصارعهم دون النطفة)[34]

(فرات): ((الماء العذب يقال للواحد والجمع))[35]، قال تعالى: ﴿وأسقيناكم ماء فراتا﴾، وقال: ﴿هذا عذب فرات﴾.

(أُجاجٌ): شديد الملوحة والحرارة من قولهم أجيج النار وأجتها وقد أجت[36]

(قطمير): أي الاثر في ظهر النواة وذلك مثل للشيء الطفيف، أو لفافة النواة[37].

(حِملِهَا): ومعنى الحمل بالكسر ما يحمل، والجمع: أحمال وحمولة، والحمل أيضاً: واحد الحمول، وهي الهوادج، أو الابل التي عليها الهوادج، وفي الأثقال المحمولة في الباطن: حمل، كالولد في البطن، والماء في السحاب، والثمرة في الشجرة تشبيها بحمل المرأة[38].

(الحرور): السموم و هي الريح الحارة، قال الفراء: السموم لا يكون إلّا بالنهار، و الحرور يكون بالليل والنهار[39].

(الاستواء): ((حصول أحد الشيئين على مقدار الآخر و منه الاستواء في العود و الطريق خلاف الاعوجاج لممره على مقدار وضع له من غير انعدال))[40].

(الأسماع): ويعني ((إيجاد المسموع بحيث يدركه السامع))[41].

(جُدَدٌ): بضم الجيم وفتح الدال: يعني جمع جدة وهي طريق في الجبل أو غيره، أو هي الخطة أو الطريقة من قولك جددت الشيء، أي: قطعته، و أما الجدد فجمع جديد قال المبرد: الجدد الطرائق و الخطوط، قال امرؤ القيس:

كان سراته و جدة متنه كنائن يجري بينهن دليص

يعني الخطة السوداء في ظهر حمار الوحش و كل طريقة جدة و جادة و قال الفراء: هي الطرائق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود و حمر[42].

(غَرابِيبُ): ومعناه ((جمع غربيب وهو الأسود المتناهي في السواد يقال أسود غربيب و الغربيب الشديد السواد الذي يشبه لون الغراب))[43].

(المقامة): الإقامة و موضع الإقامة وإذا فتحت الميم كان بمعنى القيام و موضع القيام[44]، كقولل الشاعر:

يومان يوم مقامات و أندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

(نَصَبٌ): تعب، وفيه لغتان النصب والنصب لغتان كالرشد والرشد والحزن والحزن[45].

(لُغُوبٌ): إعياء من التعب، قال الزمخشري: النصب والتعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة[46].

(يَصْطَرِخُونَ): يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهدٍ ومشقةٍ، كقول الأعشى:

قصدت الى عنسٍ لأحدجُ رحلَها ... وقد حان من تلك الديار رحيلها

فأنّتَ كما أنّ الأسيرَ وصرخّت ... كصرخةِ حُبلى أسلَمتها قَبيلُها

أي: أنّت كأنين الأسير في الأول ورفعت برفع صوتها ثانيًا كصرخةِ حُبلى عند الطلق تَرَكتها قبيلها التي تخدمُها عند الولادة، والقبيل والقبول والقابلة التي تقوم بمصلحة المرأة عند الولادة وتتلقى الولد أثناء خروجه، والفعل المبدوءة بأحدِ أحرفِ الاطباق، وهي (الصاد والضاد والطاء والظاء) إذا صيغ منها على وزن افتعل، وما يتصرف منه أبدلت تاء الافتعال طاء، كالأفعال: (صلح، ضرب، طرد، ظلم)، إذا بنينا منها صيغة افتعل قلنا: على القياس: (اصتلح، اضترب، اطترد، اظتلم)، ولتخفيف اللفظ أبدلت التاء طاء، والمجانسةُ بينهما ظاهرةٌ فنقلت الى (اصطلح، اضطرب، اطرد، اظطلم)، ويجوز في نحو اظطلم وجهان آخران هما: اظّلم واطّلم[47].

(خَلائِفَ): جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضا، وعبارة الزمخشري: ((يقال للمستخلف خليفةٌ وخَليف، فالخليفةُ تُجمعُ: خلائف، والخليف: خلفاء))، هذا ولم نجد مادة توزعت على كثير من المعاني كهذه المادة ومن يرجع إليها في بطون معاجم اللغة ير العجب، ولذلك جمع بعض العلماء معانيها في هذه الأبيات:[48]

عديمٌ خير حدّ سيف خلف ... والاستقا والقرنُ أما الخلف

فاسم لعشب الصيف ثم الخلف ... للوعد ليس من صفات الحر

ذهاب شهوة الطعام خلفه ... ورقعة ونبت صيف خلفه

كذا اختلاف الوحش ثم الخلفة ... اسم الى العيب وذاك يزري

الولد الصالح هذاك خلفٌ ... وجمعُ خلفة لرقعة خَلف

وخلفةٌ بالضّمِ جَمعها خُلُف ... لعنبٍ، وذاك أصل الخمر

المبحث الثالث

النواحي البلاغية في سورة فاطر:

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع، نوجزها فيما يأتي:

منها الاستعارة التمثيلية، كقوله تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾، شُبّه فيهِ إرسال النعم بفتح الخزائن للإعطاء، وكذلك حظر النعم بالإمساك، واستعير الفتح للإطلاق، والإمساك للمنع، على طريق الاستعارة التبعية.

ومنها الطباق: بين (يفتح.. ويمسك)، وكذلك بين (يُضل.. ويهدي)، وبين (تَحمل.. وتضع)، وبين (يُعمّر.. وينقص من عمره).

ومنها المقابلة ما بين جزاءِ الأبرارِ والفجّار (الذين كفروا لهم عذابٌ شديدٌ.. والذين آمَنُوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير)، وكذلك بين قوله: (هذا عذبٌ فراتٌ.. وهذا ملحٌ أجاج)، وكل من الطباق والمقابلةِ يعد من المحسنات البديعية، إلّا أنّ الأول يكونُ بينَ شيئين، والثاني بينَ أكثر.

ومنها حذف الجواب لدلالة اللفظ عليه (أفمن زُين له سوءُ عَملِهِ فرآه حَسنا)؟ فحذف منه ما يقابله، أي: كمن لم يزين له سوءُ عمله، ودل على هذا المحذوف قوله تعالى: (فإنّ اللهَ يضلُ مَن يشاءُ وَيهدي مَن يَشاء).

ومنها الإطنابُ بتكرار الفعل: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾، ثم قال: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾

ومنها أيضاً الكنَاية، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾، فهذه كنايةٌ عن الهلاك؛ لأن النفس إذا ذهبَت هَلكَ الإنسانُ، أي: لا تُهلكَ نفسَكَ حَسرةً عَليهم[49].

وفي الآية نفسها فن الإيغال: وهو الإتيان بكلام يعدّ بمثابة التتمة لكلام جاء قبله احتياطاً، فقد أقسم الله تعالى بحياة الرسول غير مرة أنّ الذين أعرضوا عنه وخالفوه قد تجاوزوا كل الحدود بإعراضهم، ودللوا على أنهم مفرطون في الغباوة، موغلون في الضلال، كما قال تعالى في أكثر من موضع: ﴿لعمرك إنّهم لفي سكرتِهم يعمهون﴾، وقوله أيضا: ﴿ولا يَحزنك الذين يُسارعون في الكفر﴾، وقوله: ﴿فلعلّك باخعٌ نفسك على آثارهم إن لم يُؤمنوا بهذا الحديث أسفًا﴾ وذهاب النفس حسرةً وأسفًا تعبيرٌ مرموق[50]، رمقه الشعراء كثيرًا، فقال شاعر قديم:

فعَلى إثرهم تساقط نفسي... حَسرات وذكرهم لي سقام

الالتفات: يوجد في قوله ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلخ﴾ التفاتان: الأول: في الإخبار بالفعل المستقبل عَن الماضي فقد قال (فتثير) مستقبلًا، وما قبله وما بعده ماض لحكاية الحال الماضية واستحضار لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة... والالتفات الثاني في قوله:﴿فسقناه الى بلدٍ ميتٍ فأحييّنا..﴾،

ولو جرى على نمط الكلام لقال فسقى وأحيا ولكنّه عدل بهما عن لفظ الغيبة الى لفظ التكلم، وهو أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه وإنّما عبّر بالماضيين بعد المضارع للدلالة على التحقق.

التشبيه: في قوله (كذلك النشور) تشبيه مرسل لوجود الأداة، أي: كمثل إحياء الموات نشور الأموَات في صحة المقدارية، أو في كيفيّة الإحياء.

المجاز الاسنادي: ففي قوله:﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ مجاز في المسند ومجاز في الاسناد فالصعود مجاز عن العلم لأن الصعود صفة من صفات الاجرام والكلم معلوم فأسند الفعل للمفعول به[51].

ومنها السجع لما له من وقعٍ حَسن على السمع، مثل: ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ وقوله:﴿لهم مغفرةٌ وأجرٌ كبير﴾ وأمثال ذلك، وهو من المحسنات البديعية[52].

ومنها الطباق بين (يذهبُ.. ويأتِ)، وبين (الأعمى.. والبَصير)، و(الظلمات... والنور)، و(الظل.. والحرور)، و(الأحياء.. والأموات)، وبين (نذيرا.. وبشيرا)، وبين (سرًا.. وعلانية).

جناس الاشتقاق[53] ﴿ ولا تَزر وازرة وزرَ أخرى﴾، و﴿حملها لا يحمل منه شيء ﴾.

الاستعارة التصريحية ﴿وما يستوي الأعمى والبصير.. ﴾ الآية شبه الكافر بالأعمى، والمؤمن بالبصير، بجامع ظلام الطريق وعدم الاهتداء على الكافر، ووضوح الرؤية والاهتداء للمؤمن، ثم استعار المشبه به (الأعمى) للكافرِ، واستعار مفردة (البصير) للمؤمن بطريق الاستعارة التصريحية [54].

الالتفات: كما في قوله ﴿فأخرجنا﴾ فقد التفت عن الغيبة الى التكلم لأن المنة بالإخراج أبلغ من إنزال الماء، ولإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة.

التدبيج: وهو وارد في قوله:﴿ومن الجبال جددٌ بيضٌ وحمرٌ مختلف ألوانها وغرابيبُ سود﴾، وأن التدبيج هو أن يذكر المتكلم ألوانا يقصد الكناية بها والتورية بذكرها عن أشياء من وصفٍ أو مدحٍ أو هجاء أو نسيب أو غير ذلك من الفنون، وقد أرادَ اللهُ تعالى بذلك الكناية عن المشتبه من الطرق لأن الجادة البيضاء هي الطريق التي كثر السلوك عليها جداً، وهي أوضح الطرق وأبينها يأمن فيها المتعسف، ولا يخافُ اجتيازها الموغل في الأسفار والممعنُ في افتراش صعيد المغاور.

العدول الى الاسمية: وذلك في قوله: ﴿ومن الجبال﴾ فإن إيراد هذه الجملة والجملة التي بعدها وهي (ومن الناس) اسميتين مع مشاركتهما للجملة الفعلية قبلهما في الاستشهاد بمضمونِ كل من هذه الجمل عَلى تباين الناس في الأحوال، كما إنَّ اختلاف الجبالِ والناسِ والدّواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار، وأمّا إخراج الثمرات المختلفة فأمر حادث متجدد، فعبر عنه بما يدل على الحدوث.

التقديمُ والتأخيرُ والحصر: ففي قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ورد التقديم؛ لحصر الخشية بالعلماء كأنّه قيل: إنّ الذين يخشَون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، أمّا إذا قدمت الفاعل فإن المعنى ينقلب الى أنّهم لا يخشون إلا الله، وهما معنيانِ مختلفانِ كما يبدو للمتأمل [55]، وهنا أيضاً قصر الصفة على الموصوف ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فقد قصر الخشية على العلماء، تنويها بشأنهم، وإعلاء لقدرهم[56]

الاستفهام التقريري وفيه معنى التعجب، كما في قوله تعالى:﴿ألم ترَ أنّ اللهَ أنزلَ من السماء ماء﴾.

الاستعارة: ففي قوله: ﴿يرجونَ تجارةً لن تبور﴾ استعار التجارة للمعاملة مع الله تعالى لنيل ثوابه، وشبهها بالتجارة الدنيوية وهي معاملة الخلق بالبيع والشراء لنيل الربح، ثم رشحَها بقوله: ﴿لن تبور﴾.

توافق الفواصل ممّا يزيدُ في جمال الكلام ورونقهِ ووقعه في النفس مثل ﴿يرجونَ تجارةً لن تبور﴾، وقوله: ﴿إنّه غفور شكور﴾، ومثل ذلك﴿وبالكتاب المنير﴾ ﴿فكيفَ كان نكير﴾ وهكذا[57]

وفي قوله تعالى: ﴿ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطَفَينا من عبادنا﴾**استعارةٌ مكنيةٌ تبعية**، شبّه إعطاء الكتاب إيّاهم من غير كدٍ أو تعبٍ في وصوله إليهم بتوريث الوارث، وفي هذه الآية أيضا فن (الجمع مع التقسيم)، وهوَ أن يجمع المتكلم بين شَيئين أو أكثر في حكم ثمّ يقسّم ما جمعه أو يقسم أولا ثم يجمع[58].

التهكمُ في صيغة الأمر فقوله: ﴿فذوقوا فما للظالمين من نَصير﴾ مثل: ﴿ذق إنّك أنت العزيز الكريم﴾، فالأسلوب جاء للتهكم والسخرية بِهم.

المبالغة، مثل: ﴿غفور، شكور، كفور﴾ ومثل ﴿حليما، عليما، قديرا﴾ فإنّها من صيغ المبالغة.

الاستفهامُ الإنكاري للتوبيخ، كما في قوله: ﴿أرُوني ماذا خلقوا من الأرض ﴾؟ وكذلك ﴿أم لهم شِركٌ في السموات﴾؟ فغرضه توبيخهم على عبادة ما لا يضر ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع ![59].

ائتلاف اللفظ مع المعنى: في قوله: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ فن ائتلاف اللفظ مع المعنى أي أن تكون ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضا ليس فيها لفظة نافرةٌ عن أخواتها غير لائقة بمكانها أو موصوفة بحسن الجوار، بحيث إذا كان المعنى غريبًا قحًا كانت ألفاظه غريبةً محضةً وبالعكس، ولمّا كانت جميع الألفاظ المجاورة للقسم في هذهِ الآية كلها من المستعمل المتداول لم تأتِ فيها لفظة غير مألوفة تفتقر إلى مجاورةِ ما يُشاكلها في الغرابة.

إرسال المثل: ففي قوله: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بِأهله﴾ فن إرسال المثل، وقد تقدّمت الاشارة إلى هذا الفن مع إيراد أمثال كثيرة وخاصةً في شعر أبي الطيب، وهو هنا واضح لأنّ المكر لا يقعُ إلّا على أهله، وفي أمثالهم: (من حفر مغواة وقع فيها)، قال في الصحاح: وقع الناسُ في أغوية أي: في داهية والمغوّيات بفتح الواو المشددة جمع المغواة وهي حفرة كالزبية، يقال من حفر مغويات وقع فيها، وقال كعب لابن عباس: في التوراة من حفرَ

حفرة لأخيه وقع فيها، فقال له ابن عباس: إنّا وجدنا هذا في كتاب الله، كقوله: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾.

الاسناد المجازي: ففي قوله: ﴿ما زادهم إلا نفورا﴾ إسناد مجازي؛ لأنّ إسناد الزيادة للنذير مجاز مرسل؛ لأنّه سبب في ذلك(60)

الاستعارة المكنية:ففي قوله تعالى: ﴿ما تركَ على ظهرها من دابة﴾ شبّه الأرض بدابةٍ تحمل على ظهرها أنواع المخلوقات، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو الظهر، ولزاده في حاشيته على البيضاوي سؤال لطيف نورده بنصه قال: فإن قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهر الأرض مع أن الظهر مقابل الوجه، فهو من قبيل إطلاق الضدّين على شيءٍ واحد قلت صح ذلك باعتبارين فإنّه يقال لظاهرها: ظهر الأرض من حيث أنّ الأرض كالدّابة الحاملة للأثقال ويقال له وجه الأرض؛ لكون الظاهر منها كالوجه للحيوان وإنّ غيره كالبطن هو الباطن منها بطريق الاستعارة المكنية(61).

السجع غير المتكلف، البالغ نهاية الروعة والجمال مثل ﴿وجاءكم النذير، فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ وهو من المحسنات البديعية(62)

الهوامش:

(1) ينظر تفسير الامثل: 7/14
(2) ينظر الكشاف :1/ 978 ، الآلوسي :340/16 ، ابن كثير : 532/6
(3) ينظر تفسير البحر المحيط: 227/9
(4) ينظر تفسير الميزان: 5/17
(5) ينظر تفسير الامثل: 7/14
(6) ينظر في ظلال القرآن:5/ 2919.
(7) ينظر مجمع البيان :230/8 ، الكشاف:1/ 990
(8) ينظر نور الثقلين : 4/ 345
(9) ينظر مجمع البيان : 230/8، تفسير الصافي: 113/6، تفسير الميزان: 5/17-6
(10) ينظر تفسير الامثل:7/14
(11) ينظر المصدر نفسه/7/14
(12) ينظر اعراب القرآن للنحاس: 844، القرطبي:279/14
(13) ينظر الكشاف:1/ 978
(14) ينظر النحاس:845، القرطبي:281/14، مجمع البيان: 231/8
(15) ينظر الكشاف:979/1
(16) ينظر القرطبي: 282/14
(17) ينظر مجمع البيان: 233/8

(18) ينظر التيسير في القراءات السبع: 119، الكشاف :1/ 981
(19) ينظر الكشاف:1/ 982
(20) ينظر مجمع البيان:236/8
(21) ينظر المصدر نفسه:243/8، التيسير في القراءات السبع: 119
(22) ينظر مجمع البيان:248/8
(23) ينظر الكشاف:1/ 988
(24) ينظر المصدر نفسه والصفحة نفسها
(25) ينظر مجمع البيان:251/8
(26) ينظر التيسير في القراءات السبع: 119
(27) ينظر مفردات غريب القرآن: 640
(28) ينظر مجمع البيان: 231/8
(29) ينظر اعراب القرآن وبيانه: 259/6
(30) ينظر المصدر نفسه: 260/6
(31) ينظر المصباح المنير: 1/ 362
(32) ينظر اعراب القرآن وبيانه:267/6
(33) ينظر اعراب القرآن وبيانه:268/6
(34) ينظر مجمع البيان:236/8
(35) مفردات الفاظ القرآن:628
(36) ينظر المصدر نفسه:64
(37) ينظر المصدر نفسه:678، مجمع البيان:236/8
(38) ينظر اعراب القرآن وبيانه: 6/ 278، مفردات الفاظ القرآن: 257
(39) ينظر اعراب القرآن وبيانه:281/6، مجمع البيان: 239/8
(40) ينظر مجمع البيان:239/8
(41) مجمع البيان:239/8
(42) ينظر المصدر نفسه: 241/8، اعراب القرآن وبيانه:283/6
(43) مجمع البيان: 241/8
(44) ينظر المصدر نفسه، والصفحة نفسها
(45) ينظر المصدر نفسه، اعراب القرآن وبيانه: 289/6
(46) ينظر الكشاف:614/3
(47) ينظر اعراب القران الكريم وبيانه:289/6
(48) ينظر المصدر نفسه، والصفحة نفسها
(49) ينظر صفوة التفاسير:570/2
(50) ينظر اعراب القرآن وبيانه:266/6
(51) ينظر المصدر نفسه: 270/6-271

(52) ينظر صفوة التفاسير:571/2
(53) ينظر صفوة التفاسير:575/2، اعراب القرآن وبيانه:280/6
(54) ينظر صفوة التفاسير:576/2
(55) ينظر اعراب القرآن وبيانه:286/6-287
(56) ينظر صفوة التفاسير:576/2
(57) ينظر المصدر نفسه:576/2
(58) ينظر اعراب القرآن وبيانه:291/6
(59) ينظر صفوة التفاسير:2/
(60) ينظر اعراب القرآن وبيانه:300/6-301
(61) ينظر صفوة التفاسير:582/2، اعراب القرآن وبيانه:303/6
(62) ينظر صفوة التفاسير:582/2

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس (ت338هـ)، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1985.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، منشورات كمال الملك، ط2 ، قم المقدسة، 1428هـ.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، العلامة الفقيه المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- تفسير البحر المحيط ،محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي (ت745هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
- تفسير الصافي، فيلسوف الفقهاء المولى محسن الفيض الكاشاني (ت 1091هـ)، ط2، مكتبة الصدر، بطهران، 1416هـ
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ)، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1997م.
- تفسير نور الثقلين، المحدث الجليل العلامة الخبير الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق السيد علي عاشور، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.
- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ)، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م.

- الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت671هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد الحسن الزكي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت1270هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط1، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، 1417 هـ – 1997 م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت 1385هـ)، ط17، دار الشروق – بيروت، 1412 هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري (ت538هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض، ط1، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م .
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام الحسن الطبرسي (ت548هـ)، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2005م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، بيروت.
- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.